

الباب الثالث

الاتصال لله بالملائكة في القرآن

أ. الآيات التي تتعلق بالملائكة

وإن الملائكة في أصل اللغة جمع ملك . وهو مشتق من الألوكة أي الرسالة ، أو مشتق من الملك بفتح الميم وتسكين اللام وهو الأخذ بقوة . أما تعريفهم في الشرع فهي أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات . وعلى هذا اتفق جمهور العلماء .^١

والملائكة يذكر في القرآن بلفظ جمع . فكذلك كلمة الملك كما في قوله : (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ) بمعنى الجميع وهي بمعنى الملائكة . والعرب تذكر الواحد بمعنى الجميع ، فتقول "فلان كثير الدرهم والدينار" ويراد به الدراهم والدينار . وكذلك "هلك البعير والشاة" بمعنى جماعة الإبل والشاة . فكذلك قوله " الملك " بمعنى "الملائكة".^٢

^١ الإسلام ويب ، الإيمان بالملائكة ، ١٠١٥٠ = <http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=10150>

٢٠١٣-٠١-٠٣ ،

^٢ محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، (د . م : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠

(م) ، ج ٤٠ ، ص ٢٦٣ .

وقد وجد في القرآن أربع وثلاثين موضع فيها كلمة الملائكة . ومنها ما ذكرت مرتين في سورة الحجر الآية ٣٠ وسورة ص الآية ٧٣ ،^٢ ويكتب اسم الملائكة أكثر مما قد ذكر سابقا وهو مشتمل بلفظ آخر إما "ملك" أو "روح" أو غيرهما في القرآن . ولكن الآيات التي تبحث هنا يعني ما كتب بكلمة "ملائكة" ثم جمع ورتب بأسباب نزولها . ويختار منها ما تتعلق بالاتصال بين الله والملائكة فهي :

- ١ . وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (البقرة : ٢ : ٣٠)

تفسير المنار :

إن أمر الخلقة وكيفية التكوين من الشؤون الإلهية التي يعز الوقوف عليها كما هي . وقد قص الله علينا في هذه الآيات خبر النشأة الإنسانية على نحو ما يؤثر عن أهل الكتاب من قبلنا . ومثل لنا المعاني في صور محسوسة . وأبرز لنا الحكم والأسرار بأسلوب المناظرة والحوار كما هي سنته في مخاطبة الخلق وبيان الحق .

وهذه الآيات تدل عن أجمعت الأمة الإسلامية على أن الله تعالى مزمع عن مشاهدة المخلوقات وقد قام البرهان العقلي والبرهان النقلي على هذه العقيدة . فكانت هي الأصل المحكم

^٢ محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، (٥ : ٤٠٠ : ٤٠١ ط ، د . ت) ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

في الاعتقاد الذي يجب أن يرد إليه غيره وهو التزيه . فإذا جاء في نصوص الكتاب أو السنة شيء
 يناهض ظاهره التزيه فللمسلمين فيه طريقتان . إحداها طريقة السلف وهي التزيه الذي أيد العقل
 فيه النقل كقوله تعالى : ليس كمثله شيء (٤٣ : ١١) وقوله عز وجل : سبحانه ربك رب العزة
 عما يصفون (٣٧ : ١٨٠) . وتفويض الأمر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله
 يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا . وبأيتنا في ذلك بما يقرب
 المعاني من عقولنا ويصورها لمخيلاتنا .

والثانية طريقة الخلق وهي التأويل يقولون : إن قواعد الدين الإسلامي وضعت على
 أساس العقل . فلا يخرج شيء منها عن المعقول . فإذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه
 يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل
 عليه فينبغي طلبه بالتأويل .

وعلينا الحمد لله على طريقة السلف وهديتهم لأن جعل قبول مذهب السلف واعتقاده
 يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة ما يخالفه أو طول ممارسة الرد
 عليهم . فنحن قد سمعنا بأذاننا شبهات على بعض الآيات والأحاديث لم يسهل علينا دفعها
 وإقناع أصحابها بصدق كلام الله وكلام رسوله إلا بضرب من التأويل . وأمثال تقرها من
 عقولهم ومعلوماتهم أحسن التقريب . وقد غلط كثير من علماء الكلام والمفسرين في بيان مذهب
 السلف وفي معاني التفويض والتأويل .

ومن الخير لنا أن نطمئن قلوبنا بذهب السلف ولا نحفل بغيره فإن لم تطمئن قلوبنا إلا بتأويل يرضاه أسلوب اللغة العربية فلا حرج علينا فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها . وأئمة علماء السلف قد تأولوا بعد الظواهر كما فعل الإمام أحمد وغيره في آيات المعية وآخرون في غيرها . وعلينا ألا نؤول شيئا منه بسوء القصد . وكذا ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم من أمر الدين بغير شبهة . والتفسير الموافق للغة العرب لا يسمى تأويلا وإنما يجب معه تزويه الخالق وعدم تشبيهه عالم الغيب بعالم الشهادة من كل وجه .

وأما الملائكة فيقول السلف فيهم إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وبيعض عملهم فيجب علينا الإيمان بهم . ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها إلى الله تعالى . فإذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك ولكننا نقول : إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور . إذ لو كانت كذلك لرأيناها . وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالما آخر ألطف من هذا العالم المحسوس . وأن له علاقة بنظامه وأحكامه . والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته . ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به .

وأما الفائدة فما وراء البحث في حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه . أحدها أن الله تعالى في عظيمته وجلاله يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه وما يخفى عليهم من أسرار في خلقه ولا سيما عند الحيرة . والسؤال يكون بالمقال ويكون

بالحال والتوجه إلى الله تعالى في استفاضة العلم بالمطلوب من ينابيعه التي جرت سننه تعالى بأن يفيض منها كالبحث العملي والاستدلال العقلي والإلهام الإلهي ربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم غير معروفة لأحد من البشر فيمكننا أن نحمل سؤال الملائكة على ذلك .

ثانيها إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمه ما يخفى على الملائكة فنحن أولى بأن يخفى علينا . فلا مطمع للإنسان في معرفة جميع أسرار الخليفة وحكمها لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلا .

ثالثها أن الله تعالى هدى الملائكة في حيرتهم . وأجابهم عن سؤالهم لإقامة الدليل بعد الإرشاد إلى الخضوع والتسليم . وذلك أنه بعد أن أخبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون علم آدم الأسماء ثم عرضهم على الملائكة .

رابعها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب الناس . ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا . فإذا كان الملائكة الأعلى قد مثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين . وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين أي فعليك أيها الرسول أن تصبر على هؤلاء المكذبين وترشد المسترشدين وتأتي أهل الدعوة بسلطان مبین . وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب وكونه لا ريب فيه . وفي

الرسول وكونه يبلغ وحى الله تعالى ويهدي به عباده وفي اختلاف الناس فيهما . ومن خواص القرآن الحكيم الانتقال من مسألة إلى أخرى مباينة لها أو قريبة منها مع كون الجميع في سياق موضوع واحد .

فأول ما ألقى إليهم من الإلهام أو غيره من طرق الإعلام هو وجوب الخضوع والتسليم لمن هو بكل شيء عليم لأن ما يضيق عنه علم أحد ويحار في كيفية يتسع له علم من هو أعلم منه . ومن شأن الإنسان أن يسلم لمن يعتقد أنه فوقه في العلم ما يتصدى له مهما يكن بعيد الوقوع في اعتقاده .

والملائكة أعلم منا بشأن الله في أفعاله وأنه العليم الحكيم . فهم وإن فاجأهم العجب من خلق الخليقة يرددهم إلى اليقين أدق التنبيه . ولذلك كان قوله تعالى : إني أعلم ما لا تعلمون ، جواباً مقنعاً أي إقناع على أن هذا النوع من التسليم للعالم القادر ربما لا ينهب بالخيبة ولا يزيل الاضطراب من نفس المتعجب . وإنما تسكن النفس ببروز ذلك الأمر الذي كانت تعجب من بروزه إلى عالم الوجود ووقوفها على أسرار وحكمه بالفعل . ولذلك تفضل الله تعالى على الملائكة بإكمال علمهم بحكمته في خلق هذا الخليفة الإنساني وسره عند طلوع فجره . فعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فعلموا أن في فطرة هذا الخليفة واستعداده علم ما لم يعلموا . وتبين لهم وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الأرض وأن كل ما يتوقع من الفساد وسفك الدماء لا ينهب بحكمة الاستخلاف وفائدته ومقامه .

وبهذه الآية إذ قال الله للملائكة إنه جاعل في الأرض خليفة فبادروا إلى السؤال واستفهام الاستغراب إلى أن يجعل الله فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . فيغفل بذلك عن تسبيح الله وتقديسه بلا غفلة ولا فتور . ولا شك أن هذا السؤال نشأ من فهم المعنى المراد من الخليفة وما يقتضيه من العلم غير المحدود والإرادة المطلقة . وكون هذا العلم المصروف للإرادة لا يحصل إلا بالتدرج . وكون عدم الإحاطة مدعاة للفساد والتنازع المفضي إلى سفك الدماء كما تقدم .^٤

التفسير الوسيط :

وفي هذه الآيات الكريمة عطف سبحانه قصة خلق آدم أبي البشر على قصة خلق الأنفس وخلق السماوات والأرض انتقالا في الاستدلال على أن الله واحد وجمعا بين تعدد الأدلة وبين مختلف الحوادث وأصلها حتى يكون التدليل أجمع والإيمان بالله أقوى وأثبت .

والمراد هنا أن آدم عليه السلام كان خليفة من الله في الأرض . وكذلك سائر الأنبياء استخلفهم الله تعالى في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وإجراء أحكامه عليهم وتنفيذ أوامره فيهم . وقيل آدم وذريته لأنه يخلف بعضهم بعضا في عمارة الأرض واستغنى بذكره عن ذكر ذريته لكونه الأصل .

^٤ محمد رشيد بن علي رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، (د . م : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م) ، ج ١٠ ، ص

وخطاب الله للملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة . ليس المقصود منه المشورة وإنما مخاطبتهم بذلك من أجل ما ترتب عليه من سؤالهم عن وجه الحكمة من هذه الخلافة . وما أجيروا به من بعد أو من أجل تعليم العباد المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصائحتهم وإن كان هو سبحانه بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة . والحكمة تعظيم شأن المجهول وإظهار فضله بأن بشر بوجود سكان ملكوته ونوه بعظيم شأن المجهول بذكره في الملأ الأعلى قبل إنجاده ولقبه بالخليفة .

ثم حكى سبحانه إجابة الملائكة في تلك الآية والمعنى أيجعل الله في الأرض من يفسد فيها ويريق الدماء والحال أنهم يترهونه عما لا يليق بعظمته تزيها متلبسا بحمده والثناء عليه ويظهرون ذكره عما لا يليق به تعظيما له وتمجيذا . وذلك القول إنما صدر منهم على وجه استطلاع الحكمة في خلق نوع من الكائنات يصدر منه الإفساد في الأرض وسفك الدماء . وقطعهم بحكمة الله في كل ما يفعل لا ينافي تعجبهم من بعض أفعاله لأن التعجب يصدر عن خفاء سبب الفعل . فمن تعجب من فعل شيء وأحب الاطلاع على الحكمة الباعثة على فعله لا يعد منكرا . والملائكة لا يعلمون الغيب فلا بد أن يكونوا قد علموا ماذا سيكون من الفساد في الأرض وسفك الدماء بوجه من الوجوه التي يطلع الله بها على غيبه بعض المصطفين الأخيار من خلقه .

وقد رد الله تعالى على الملائكة بقوله في الآية إنه أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفسد التي ذكرها الملائكة ما لا يعلمون . فإنه سيجعل فيهم الأنبياء ويرسل فيهم

الرسول ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملون والمحبون له تعالى المتعبون رسله .

فالجملة الكريمة إرشاد لهم إلى الأمر الذي من شأنه أن يقف بهم عند حدود الأدب اللائق بمقام الخالق عز وجل وتنبيه إلى أنه تعالى عالم بما لا يحيط به علم أحد من خلقه . فله أن يفعل ما يشاء ويأمر بما يشاء . وليس من أدب المؤمنين بأنه العليم الحكيم أن يسألوه حين يأمرهم بشيء أو يعلمهم بأنه سيفعل شيئاً عن حكمة ما أمر به أو ما سيفعله بل شأنهم أن يتجهوا إلى استطلاع حكمة الأفعال والأوامر من أنفسهم . فإذا أدركوها فقد ظفروا بأمنيتهم وإن وقفت عقولهم دونها . ففي تسليمهم لقدر الله وامتنانهم لأوامره الكفاية في القيام بحق التكليف والفوز برضا الله الذي هو الغاية من الإيمان به والإقبال على طاعته .

وقال بعض العلماء أن في هذه الآية الكريمة تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب بعض الناس له لأنه إذا كان الملأ الأعلى قد مثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون . فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين وبالأنبيا أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين أي فعلية أن يصبر على هؤلاء المكذبين ويرشد المسترشدين ويأتي أهل الدعوة بسطان مبين . °

° محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط ، (د . م : موقع التفاسير ، د . ت) ، ج ١٠ ، ص ٥٤-٥٥ .

٢. إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (الأنفال : ٨ : ١٢)

تفسير المنار :

إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا الظرف هنا أنه يثبت الأقدام بالمطر في وقت الكفاح الذي يوحى تعالى فيه إلى الملائكة أمرا لهم أن يثبتوا به الأنفس بملابسهم لها واتصاهم بها وإلهامها تذكر وعد الله لرسوله .

وسيلقي في قلوب الذين كفروا الرعب أي الخوف الذي يملأ القلب . ولما فيه من معنى الملاء . وقيل أصل معناه القطع إذ يقال رعبت السنام ورعبته ترعيبا إذا قطعتة طولا . ويقال رعبته وأرعبته فأبلغ منه تعبير التريل بإلقاء الرعب . وبقذف الرعب في القلب لما فيه من الإشعار بأنه يصب في القلوب دفعة واحدة فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان أي فاضربوا إلهام وافلقوا الرعوس أو اضربوا على الأعناق وقطعوا الأيدي ذات البنان التي هي أداة التصرف في الضرب وغيره . وهو متعين في حال هجوم الفارس من الكفار على الراجل من المسلمين . فإذا لم يسبق هذا إلى قطع يده قطع ذاك رأسه . والبنان جمع بنانة وهو أطراف الأصابع .

فإن المشركين وحدهم هم الذين عقوه صلى الله عليه وسلم وظلموه هو ومن آمن به حتى أخرجوهم من وطنهم بغيا وعدوانا . ثم تبعوهم إلى دار هجرتهم يقاتلونهم فيها . وروي أنه

أوصى بنفر من بني هاشم آلہ خرجوا مع المشركين كرها ألا يقتلوا . وكان منهم عمه العباس رضي الله عنه ولم يكن أسلم .

ومقتضى السياق أن وحي الله للملائكة قد تم بأمره إياهم بتثبيت المؤمنين كما يدل عليه الحصر في قوله عن إمداد الملائكة . وقوله تعالى : سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، بدء كلام خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون تنمة للبشرى . فيكون الأمر بالضرب موجها إلى المؤمنين قطعاً . وعليه المحققون الذين جزموا بأن الملائكة لم تقاتل يوم بدر تبعاً لما قبله من الآيات . وقيل : إن هذا مما أوحى إلى الملائكة ، وتأوله هؤلاء بأنه تعالى أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى في قلوب المؤمنين بالإلهام كما كان الشيطان يخوفهم . ويلقي في قلوبهم ضده بالوسواس . ولا يرد على الأول ما قيل من أنه لا يصح إلا إذا كان الخطاب قد وجه إلى المؤمنين قبل القتال .

والسورة قد نزلت بعده لأن نزول السورة بنظمها وترتيبها بعده لا ينافي حصول معانيها قبله وفي أثنائه . فإن البشارة بالإمداد بالملائكة وما وليه قد حصل قبل القتال . وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ثم ذكرهم الله تعالى به بإنزال السورة برمتها تذكيراً بمنته ولولا هذا لم تكن للبشارة تلك الفائدة . والخطاب في السياق كله موجه إلى المؤمنين . وإنما ذكر فيها وحيه تعالى للملائكة بما ذكر عرضاً . وقد غفل عن هذا المعنى الألوسي تبعاً لغيره وادعى أن الآية ظاهرة في قتال الملائكة . وقد وردت روايات ضعيفة تدل على قتال الملائكة لم يعبأ الإمام ابن جرير بشيء منها ولم يجعلها حقيقة أن تذكر ولو لترجيح غيرها عليها .

وما أدري أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التي يردها العقل ولا يشبها ما له قيمة من النقل . فإذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية وتسهيله لهم الأسباب الحسية كإنزال المطر . وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف وقيل آلاف من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفلقون منهم الهام . ويقطعون من أيديهم كل بنان فأى مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم . وأذلوا المشركين وقتلوا منهم الألوف . وفي كتب السير وصف للمعركة علم منه القاتلون والأسرون لأشد المشركين بأسا . فهل تعارض هذه البيانات النقلية والعقلية بروايات لم يرها شيخ المفسرين ابن جرير حرية بأن تنقل .

فإن الله تعالى يقول في إمداد الملائكة : وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم وهذه الروايات تقول بل جعلها مقاتلة . وأن هؤلاء السبعين الذين قتلوا من المشركين لم يمكن قتلهم إلا باجتماع ألف أو ألوف من الملائكة عليهم مع المسلمين الذين خصهم الله بما ذكر من أسباب النصر المتعددة .

ألا إن في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول . وأشجعهم ما لا يصدر عن عاقل إلا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند . ولم يرفع منها إلا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألويسي وغيره

بغير سند وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيراً . فرواياته عنها حتى في الصحيح مرسلة وقد روي عن غير الصحابة حتى عن كعب الأحبار وأمثاله .^٦

صفوة التفاسير :

هذه الآية تذكير بنعمة أخرى أى يوحى الله إلى الملائكة بأنه معهم بالعون والنصر . فيثبتون المؤمنين ويحفظون أنفسهم على أعدائهم وسيلقي في قلوب الذين كفروا الرعب أى سيغذف في قلوب الكافرين الخوف والفرع حتى ينهزموا . فيضربوهم على الأعناق كقوله . وقيل : المراد الرعوس لأنها فوق الأعناق . واضربوا منهم كل بنان أى اضربوهم على أطراف الأصابع . قال في التسهيل : وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله .^٧

تفسير الخازن :

إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى الملائكة الذين أمد بهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إنه معهم بالنصر والمعونة . فقال : فثبتوا الذين آمنوا أي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية

^٦ محمد رشيد بن علي رضا ، مرجع السابق ، ج ٩٠ ، ص ٥٠٩-٥١١ .

^٧ محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، (م . د : دار الصابوني ، ٥٠٥ ت) ، ج ١٠ ، ص ٣٣٠ .

هذه لتقوية والتثبيت . فقيل : كما أن للشيطان قوة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير .

ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة وإلهاماً . فهذا هو التثبيت . وقيل : إن ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعاونتهم لهم . وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل أمام الصف ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عليهم . وسيلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يعني الخوف . وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين . فاضربوا فوق الأعناق أي قتل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله . وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلاً بما قبله .

وقال ابن الأنباري أن ما كانت الملائكة تعرف تقتل بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى : فاضربوا فوق الأعناق . قال عكرمة يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق . وقال الضحاك أن معناه فاضربوا الأعناق وفوق صلة . وقيل معناه فاضربوا على الأعناق فتكون فوق بمعنى على . واضربوا منهم كل بنان يعني كل مفصل . وقال ابن عباس يعني الأطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن الإنسان أن يبين ما يريد أن يعمل به يديه وإنما خصت بالذكر من دون سائر الأطراف لأجل أن الإنسان بها يقاتل وبها يحسك السلاح في الحرب . وقيل إنه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الأعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الأعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد . وقيل

أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الإنسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الإنسان عن الحرب لأن بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فإذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله .^٨

٣. يزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون (النحل

(٢ : ١٦ :

صفوة التفاسير :

وإن الملائكة يزل بالوحي والنبوة بإرادته وأمره على من يشاء من عباده أى الأنبياء والمرسلين . وسمى الوحي روحاً لأنه تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدان . وأمر بأن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أى أن أنذروا أهل الكفر أنه لا معبود بحق إلا الله . فحافوا عذابه وانتقامه . ثم ذكر تعالى البراهين الدالة على وحدانيته وقدرته فى الأية بعدها فى خلق السماوات والأرض والإنسان بالحق تعالى .^٩

^٨ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الحارثي ، كتاب التأويل فى معاني التنزيل ، (بيروت: دار الفكر ، ١٣٩٩

هـ / ١٩٧٩ م) ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .

^٩ كما سبق ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

تفسير الخازن :

ويتزل الملائكة والروح يعني بالوحي من أمره . وإنما سمي الأمر روحاً لأنه تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة . وقال قتادة بالرحمة . وقيل الروح هون جبريل والباء بمعنى مع يعني يتزل مع الروح وهون جبريل على من يصطفيه من عباده للنبوة . والرسالة وتبليغ الوحي إلى الخلق بأن اعلّموا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي فخافون . وقيل معناه مروا بقول لا إله إلا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن .^{١٠}

تفسير السعدي :

ويتزل الملائكة بالروح أو الوحي الذي به حياة الأرواح من أمره على من يشاء من عباده ممن يعلمه صالحاً لتحمل رسالته . وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون . وهي على معرفة الله تعالى وتوحيده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له . فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله . وجعل الشرائع كلها تدعو إليها وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها .

ثم ذكر الأدلة والبراهين على ذلك في الآيات بعدها : خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها

^{١٠} علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن ، مرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٧٩ .

دفع ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين .^{١١}

ب. الأمور التي أوحى الله بها إلى الملائكة

وإن الاتصال بين الله والملائكة له مغزى وحكمة كثيرة . فيقدر الناس على اتباعها ومعاملتها في حياتهم لتناول السعادة لدنياهم وأخريهم . سيذكر هنا الأمور التي أوحى الله بها إلى الملائكة موضوعيا وهي :

١. توحيد الله وتقديسه

وإنما أنزل الله كتابه لأن لا يعبدوا خلقه إلا إليه أي لأجل إخلاص الدين كله لله . وأن لا يشرك به أحد من خلقه.^{١٢} فالآية تبين إذ جاءهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم أي

^{١١} عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (د . م : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ج ١٠ ، ص ٤٣٥ .
^{١٢} كما سبق ، ج ١٠ ، ص ٣٧٦ .

مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي والإهلاك في زمنه فقط بأن لا يعبدوا إلا الله .

١٣

وإن الرسل من كل جوانبهم واجتهدوا في هدايتهم من كل جهة وأن فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض . وفي قولهم ضرب من التهكم والسخرية برسل الله .^{١٤} وكذلك أن الرسل يأمرهم بالإخلاص لله وينهونهم عن الشرك فردوا رسالتهم وكذبوهم . ويقولون هؤلاء المكذبون أنهم بشر مثلهم وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين من الأمم . وهي من أوهى الشبه فإنه ليس من شرط الإرسال أن يكون المرسل ملكا وإنما شرط الرسالة أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه . فليقدحوا إن استطاعوا بصدقهم بقادح عقلي أو شرعي ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا .^{١٥} وأما زبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون . وهي على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له .

وأما الذين آمنوا بالله إيمانا صادقا وأخلصوا العمل له ثم إستقاموا على توحيد الله وطاعته وثبتوا على ذلك حتى الممات كما روي عن عمر رضي الله عنه إنهم استقاموا على شريعة الله في

^{١٣} جلال الدين محمد بن أحمد الهلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مرجع السابق ، ج . ١ ، ص .

^{١٤} محمد علي الصابوني ، مرجع السابق ، ج . ٣ ، ص . ١٦٢ .
^{١٥} عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، مرجع السابق ، ج . ١ ، ص . ٧٤٦ .

سلوكهم وأخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم فكانوا مؤمنين حقا أي مسلمين صدقا .^{١٦} وبين أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على التوحيد وغيره مما وجب عليهم فتنزل عليهم الملائكة عند الموت بأن لا يخافوا من الموت وما بعده . ثم بين بأن لا يحزنوا على ما خلفهم من أهل وولد فالله يخلفهم فيه . وأن يبشروا بالجنة التي كانوا يوعدون .^{١٧}

وإن حياة الخالق تعالى أعلى وأكمل من حياة جميع خلقه من الجن والإنس والملائكة . وهي لا تشبهها شيء . والتزيه له يعني الصفة الذاتية الواجبة الأزلية الأبدية التي يلزمها اتصافه بما وصف به نفسه من صفات الكمال . وبدونها فهي لا يتوقف تعقلها على غيرها من الصفات ويتوقف تعقل جميع الصفات عليها . وعبر عنها بعضهم بأنها تصحح له الاتصاف بصفات المعاني

١٨ .

وأن الله تعالى مآزه عن مشاهة المخلوقات وقد قام البرهان العقلي والبرهان النقلي على هذه العقيدة . فكانت هي الأصل المحكم في الاعتقاد الذي يجب أن يرد إليه غيره وهو التزيه . فإذا جاء في نصوص الكتاب أو السنة شيء ينافي ظاهره التزيه كقوله تعالى : ليس كمثله شيء

. (٤٣ : ١١)

^{١٦} محمد علي الصابوني ، مرجع السابق ، ج ٣٠ ، ص ١٦٥ .

^{١٧} جلال الدين محمد بن أحمد الهللي و جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ١٠٠ .

^{١٨} محمد رشيد بن علي رضا ، مرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٢٠ .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون عن قول المشركون فهي على ما إضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا عزة إلا له أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الإشعار بالتوحيد .^{١٩} وقوله عز وجل : سبحان ربك رب العزة عما يصفون (٣٧ : ١٨٠) . وتفويض الأمر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا . ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ويصورها لمخيلاتنا .

وأول ما ألقى الله من الإلهام أو غيره من طرق الإعلام هو وجوب الخضوع والتسليم لمن هو بكل شيء عليم لأن ما يضيق عنه علم أحد ويحار في كيفيته يتسع له علم من هو أعلم منه . ومن شأن الإنسان أن يسلم لمن يعتقد أنه فوقه في العلم ما يتصدى له مهما يكن بعيد الوقوع في اعتقاده .

والملائكة أعلم منا بشأن الله في أفعاله وأنه العليم الحكيم . فهم وإن فاجأهم العجب من خلق الخليقة يرددهم إلى اليقين أدنى التنبيه . ولذلك كان قوله تعالى : إني أعلم ما لا تعلمون ، جواباً مقنعاً أي إقناع على أن هذا النوع من التسليم للعالم القادر ربما لا يذهب بالحيرة ولا يزيل الاضطراب من نفس المتعجب . وإنما تسكن النفس بمرور ذلك الأمر الذي كانت تعجب من بروزه إلى عالم الوجود ووقوفها على أسرارِهِ وحكمه بالفعل . ولذلك تفضل الله تعالى على

^{١٩} البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، (بهرت : دار الفكر ، ٥٠ ، ج ٥٠ ، ص ٣٢٠ .

الملائكة بإكمال علمهم بحكمته في خلق هذا الخليفة الإنساني وسره عند طلوع فجره . فعلم آدم
الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فعلموا أن في فطرة هذا الخليفة واستعداده علم ما لم يعلموا
. وتبين لهم وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الأرض وأن كل ما يتوقع من الفساد وسفك الدماء
لا يذهب بحكمة الاستخلاف وفائدته ومقامه .

وهذه الآية إذ قال الله للملائكة إنه جاعل في الأرض خليفة فبادروا إلى السؤال واستفهام
الاستغراب إلى أن يجعل الله فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . فيغفل بذلك عن تسبيح الله
وتقديسه بلا غفلة ولا فتور . ولا شك أن هذا السؤال نشأ من فهم المعنى المراد من الخليفة وما
يقتضيه من العلم غير المحدود والإرادة المطلقة . وكون هذا العلم المصرف للإرادة لا يحصل إلا
بالتدريج . وكون عدم الإحاطة مدعاة للفساد والتنازع المفضي إلى سفك الدماء كما تقدم .^{٢٠}
فيطابق هذا بقوله تعالى : وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (البقرة :

٢ : ٣٠)

^{٢٠} محمد رشيد بن علي رضا ، مرجع السابق ، ج . ١٠ ، ص . ٢١٠-٢١٨ .

٢. تثبيت المؤمنين بالنصر

وذكر الله نعمته ويوحى إلى الملائكة بأنه معهم بالعون والنصر من المشركين .^{٢١}
وكذلك أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى الملائكة الذين أمد بهم النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه إنه معهم بالنصر والعودة . فقال : فثبتوا الذين آمنوا أي قووا قلوبهم واحتلفوا في كيفية
هذا لتقوية والتثبيت . فقول : كما أن للشيطان قوة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر
فكذلك للملك قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير .^{٢٢}

وأن المشركين وحدهم هم الذين عقوه صلى الله عليه وسلم وظلموه هو ومن آمن به
حتى أخرجوهم من وطنهم بغيا وعدوانا . ثم تبعوهم إلى دار هجرهم يقاتلونهم فيها . وروي أنه
أوصى بنفر من بني هاشم آلهم يخرجوا مع المشركين كرها ألا يقتلوا . وكان منهم عمه العباس
رضي الله عنه ولم يكن أسلم . ومقتضى السياق أن وحي الله للملائكة قد تم بأمره إياهم بتثبيت
المؤمنين كما يدل عليه الحصر في قوله عن إمداد الملائكة . وقوله تعالى : سألقى في قلوب الذين
كفروا الرعب ، بدء كلام خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون تنمة للبشرى . فيكون
الأمر بالضرب موجهها إلى المؤمنين قطعاً . وعليه المحققون الذين حزموا بأن الملائكة لم تقاتل يوم
بدر تبعاً لما قبله من الآيات . وقيل : إن هذا مما أوحى إلى الملائكة ، وتأوله هؤلاء بأنه تعالى

^{٢١} كما سبق ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .^{٢٢} علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الحارثي ، مرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣ .

أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى في قلوب المؤمنين بالإلهام كما كان الشيطان يخوفهم . ويلقي في قلوبهم ضده بالوسواس . ولا يرد على الأول ما قيل من أنه لا يصح إلا إذا كان الخطاب قد وجه إلى المؤمنين قبل القتال .^{٢٣}

وأما في الآخرة فمن أكملها وأجمعها لمعاني الآية لأكملهم المشهور في تزل الملائكة عليهم أنه يكون عند البعث . وكذا عند الموت ولا مانع من شموله لما في الملائكة الذين أمد بهم أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر : وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم (الأنفال : ٨ : ١٠) . ثم قال : إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا (الأنفال : ٨ : ١٢) . وقد يكون منه إلهام الحق والخير كما ورد في حديث ابن مسعود مرفوعا عند الترمذي والنسائي : إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فيتعوذ بالله من الشيطان . وهذا بقوله تعالى : إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (الأنفال : ٨ : ١٢)

^{٢٣} محمد رشيد بن علي رضا ، مرجع السابق ، ج ٩٠ ، ص ٥٠٩-٥١١ .

٣. الإنذار

وأمر الله المؤمنين بأن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي أن انذروا أهل الكفر أنه لا معبود بحق إلا الله . فحافوا عذابه وانتقامه .^{٢٤} وقال قتادة بالرحمة . وقيل الروح هون جبريل والباء بمعنى مع يعني يتزل مع الروح وهون جبريل على من يصطفيه من عباده للنبوّة . والرسالة وتبليغ الوحي إلى الخلق بأن اعلّموا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي فحافون . وقيل معناه مروا بقول لا إله إلا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن .^{٢٥}

وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون . وهي على معرفة الله تعالى وتوحيده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له . فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله . وجعل الشرائع كلها تدعو إليها وتحت وتجاهد من حاربها وقام بضدها . وهذا بما قوله تعالى : يتزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون (النحل : ١٦ : ٢).

ثم ذكر الأدلة والبراهين على ذلك في الآيات بعدها : خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم

^{٢٤} كما سبق ، ج . ٢ ، ص . ١٠٣ .^{٢٥} علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الحارثي ، مرجع السابق ، ج . ٤ ، ص . ٧٩ .

إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم
أجمعين . ٢٦

^{٢٦} عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، مرجع السابق ، ج . ١ ، ص . ٤٣٥ .